



المجلة السياسية والدولية

اسم المقال: رؤية مقترحة لإعداد تشكيل مفهوم المواطنة في العراق الجديد

اسم الكاتب: م.د. عبير سهام مهدي

رابط ثابت: <https://political-encyclopedia.org/library/2059>

تاريخ الاسترداد: 2025/06/08 08:40 +03

الموسوعة السياسية هي مبادرة أكاديمية غير هادفة للربح، تساعد الباحثين والطلاب على الوصول واستخدام وبناء مجموعات أوسع من المحتوى العلمي العربي في مجال علم السياسة واستخدامها في الأرشيف الرقمي الموثوق به لإغناء المحتوى العربي على الإنترنت. لمزيد من المعلومات حول الموسوعة السياسية - Encyclopedia Political، يرجى التواصل على info@political-encyclopedia.org

استخدامكم لأرشيف مكتبة الموسوعة السياسية - Encyclopedia Political يعني موافقتك على شروط وأحكام الاستخدام المتاحة على الموقع <https://political-encyclopedia.org/terms-of-use>

تم الحصول على هذا المقال من الصفحة الخاصة بالمجلة السياسية والدولية على موقع المجلات الأكاديمية العلمية العراقية ورفده في مكتبة الموسوعة السياسية مستوفياً شروط حقوق الملكية الفكرية ومتطلبات رخصة المشاع الإبداعي التي ينصوي المقال تحتها.



رؤية مقترحة لاعادة تشكيل مفهوم المواطنة في العراق الجديد

المدرس الدكتور

عبير سهام مهدي (*)

المقدمة

مثلت عملية التحول من النظام الشمولي إلى مشروع أقاليم جديد ومغاير، نقله نوعيه شهدها المجتمع العراقي بعد نيسان القت بظلالها على مختلف الاصعدة الاقتصادية والسياسية والاجتماعية ولعل من ابرز تلك التحولات ذلك الذي تبلور على صعيد الهوية الوطنية وإعادة تشكيلها من خلال صياغة جديدة لمفهوم المواطنة الذي يفترض ان تكون القاعدة الراسخة التي يتأسس عليها المشروع الوطني الجديد الرامي لاقامة أو اعادة تأسيس الدولة العراقية الجديدة، دولة المؤسسات وحكم القانون، والملاحظ ان عملية التحول الكبيرة والقاسية تلك وان كانت في مجملها مدعاة للتفاؤل الأمل في بناء دولة تحترم مواطنيها ويضطلع نظامها السياسي بالواجبات أو المهمات التي يتعين عليه انجازها، إلا انها واجهت ولازالت عقبات كأداء شوهت ذلك الهدف وقد لان جان . الواقع اذا ماوضعنا (مفهوم المواطنة ودلالاته) في مقدمة تلك العقبات، ذلك لان المفهوم قد تم تشويبه اساسا على مدى سني ومراحل بناء الدولة العراقية منذ بدايات القرن الماضي صعودا (ولايهما في هذا المجال فيما اذا كان ذلك بقصد ووعي او بدونهما، المهم النتيجة واحدة-مجتمع حافظت القوة والقهر والاستخدام البشع للاداة العسكرية داخليا وخارجيا في تشكيل هويته الوطنية ان كانت هنالك هوية وطنية-بدليل ماحصل بعد انهيار هذا النظام.

ومن هنا تمثل هذه الدراسة قراءة اولية لمفهوم المواطنة الذي احتل حيزا مهما في الانشغال الفكري والسياسي بأعتبره مدخلا إلى أرساء انظمه الديمقراطية، واساسا لعملية الاندماج الوطنية، وحجر الزاوية في بناء الدولة الوطنية الحديث. كما تعالج هذه الدراسة آليات اعادة تشكيل وتعزيز وتفعيل مفهوم المواطنة في العراق الجديد.

وعليه فأن الدراسة انقسمت إلى محورين، تناول المحور الاول ماهية المواطنة وسياق تطورها التاريخي، وقدم المحور الثاني رؤية مقترحة من شأنها ان تسهم في اعادة تشكيل وتفعيل مفهوم المواطنة في العراق الجديد.

المحور الاول: ماهية المواطنة وسياق تطورها التاريخي

لايمكن الاعتماد على مبادئ عامة محددة لتحديد معنى المواطنة بشكل دقيق فهو مفهوم تاريخي شامل يختلف من زمان لآخر، ومن مكان لمكان ويتأثر بالنضج السياسي والرقعي الحضاري

(*) وحدة البحوث والدراسات-كلية العلوم السياسية-جامعة بغداد.

للدولة، إذ تأثر هذا المفهوم وعبر العصور السابقة بالتطورات السياسية والاجتماعية والعقائد المختلفة ويقوم الحضارات والاحداث العالمية الكبرى .

اذ ينسب البعض إلى الاغريق والرومان الخطوات الاساسية في وضع اسس مفهوم المواطنة والتأكيد على ضرورة المنافسة من اجل تقلد المناصب واهمية ارساء اسس مناقشة السياسة العامة بأعتبار ذلك شيئاً قيماً ومطلوباً في حد ذاته .

فقد تجلت مساهمة الحضارة اليونانية- لاسيما في مدينة اثينا- في إرسائها لمبادئ المواطنة في إطار ممارستها للديمقراطية المباشرة ومن خلال الدعوة إلى المساواة والحرية والمطالبة بحقوق الشعب على وفق تصورها للشعب الذي استبعد الاجانب والرقيق، اما الحضارة الرومانية فقد اعتمدت رغم-ارستقراطيها-مبادئ مهمة كالمساواة والحرية لاسيما خلال ماسمي بالمرحلة التشريعية التي جرى فيها التأكيد على مسألة الديمقراطية وتحرير الشعوب والافراد المستضعفين .

ادى سقوط الامبراطورية الرومانية إلى تراجع مفهوم المواطنة ففي العصور الوسطى اصبحت مواطنة الفرد تتحدد بحسب وضعه الاجتماعي-السياسي في نظام الطبقات الاقطاعي السائد وبقي ذلك مسيطراً حتى نهاية العصور الوسطى، حيث ساد في اوربا بناء اجتماعي هرمي، كانت المواطنة فيه حقا لملاكي الاراضي مع ظهور فكرة الامة ذات السيادة، وفكرة وجود حقوق أساسية للفرد العضو في الامة ، كأنسان ومواطن، ينالها مقابل الواجبات التي تقع على عاتقه .

اما المواطنة بمعناها الحديث فهي وليدة انبعاث القومية الحديثة، وظهور شرائح اجتماعية غير إقطاعية تعمل في التجارة والصناعة، ولها قوة ونفوذ في المجتمع وقد ترافق ظهور هذا المفهوم الحديث ل(المواطن) مع اعلان استقلال الولايات المتحدة عام (1776) () وبعدها في اعلان حقوق الانسان والمواطن في العام (1789) ، وتعتبر هاتان الوثيقتان حتى يومنا هذا نقطة تحول مهمة في تاريخ مفهوم المواطنة ، حيث نصتا على الحقوق السياسية والمدنية بما في ذلك مفهوم (الحرية) المستمد من العضوية في الشعب صاحب السيادة¹.

هذا وقد بقي مفهوم المواطنة في تطور مستمر خلال القرون السابقة منذ نهاية القرن الثامن عشر إلى وقتنا الحاضر ، اذ اصبح مفهوم المواطنة حقا غير منازع فيه وامتد ليشمل فئات من المواطنين لم تكن تتمتع بحق المواطنة مثل النساء فأصبحن يتمتعن بحق المشاركة السياسية في اتخاذ القرارات الجماعية إلا ان ذلك لم يكن إلا في القرن العشرين، ففي بريطانيا لم تحصل النساء على حق الانتخابات إلا في عام (1918) ، وفي فرنسا (1944) .

¹ امل هندي الخزعلي، اشكالية المواطنة في الخطاب الاسلامي المعاصر مجلة العلوم السياسية ()، تموز، بغداد، .

² امل هندي الخزعلي، جدلية العلاقة بين الديمقراطية والمواطنة والمجتمع المدني/ العراق اتمونجا، ع (/)، شباط، بغداد، .

³ مسعود موسى الرضي، اثر العولمة في المواطنة المجلة العربية للعلوم السياسية، مركز دراسات الوحدة العربية، ع () بيروت، (-) .

⁴ المصدر السابق، ص () .

⁵ ليث زيدان ، مفهوم المواطنة في النظام الديمقراطي : . www . islam on line . net

وعلية وقبل البدء بتعريف المواطنة لابد من ايضاح لبعض المصطلحات ذات العلاقة بالمفهوم ومنها مفهومي الوطن والمواطن.

فالوطن (الدولة) وكما يعرفها (ريموند كابتل) بانها: (مجتمع من الافرد يقيمون بأستمرار في اقليم معين ، مستقلين من الناحية القانونية عن كل تسلط اجنبي، ولهم حكومة منظمة تشرع وتطبق القانون على جميع الافراد داخل حدود سلطتها).

(كابتل) يجعل اركان الدولة اربعة هي !:

أ . مجموعة من الافراد.

ب . الاقليم.

ج . السيادة.

د . الحكومة.

اذن من هو المواطن ؟ وماهي المواطنة ؟

ان المواطن هو اللبنة الاساسية في اي مجتمع من المجتمعات بغض النظر عن طبيعة هذا المجتمع ومواصفاته وبدون المواطن لايمكن الحديث عن وطن وتبرز هذه الاهمية بصورة اوضح في المجتمعات التي تسير على النهج الديمقراطي، حيث تعمل السلطة السياسية التي يتم انتخابها من قبل المواطنين على تنظيم وادارة حياة المجتمع بالشكل الذي يحقق مصالح الغالبية العظمى منهم ، ويوفر لهم كافة الاساليب والوسائل التي تمكنهم من العيش بكرامة ورفاهية .

فالمواطن: هو فرد يقيم بصورة ثابتة ومتواصلة في وطن، بلد معين، في مجتمع معين، وعلى منطقة جغرافية معينة، وترتبط بسائر المواطنين الذين يقيمون في هذه المنطقة علاقات اقتصادية، اجتماعية، وثقافية الخ .

وبناء على هذا المعنى فان المواطنة تعني: (الانتماء إلى بلد ما، والى شعب يقطن هذا البلد) انها تمثل العلاقة القانونية القائمة بين الوطن والمواطن).

كما عرفت دائرة المعارف البريطانية المواطنة بانها: (علاقة بين فرد ودولة يحددها قانون تلك الدولة وبما تتضمن تلك العلاقة من واجبات وحقوق في الدولة) .

⁶ نقلا عن : لوي بحري ، دراسات في علم السياسة ، مطبعة شفيق ، بغداد ، ، □ :

⁷ عبير سهام مهدي ، بناء دولة القانون في العراق ، المجلة السياسية والدولية، ع () ، اب ، بغداد ، □ □ . .

⁸ ينظر : عبد الجبار احمد عبد الله ، سبع مسائل في احسن الوسائل السياسية العراقية ، مجلة العلوم السياسية □ () :

(: . حزيان ، بغداد ، □ :

⁹ بلا مؤلف ، الوطن والمواطن والمواطنة: www . cffif . net

¹⁰ حسين علوان حسين، اشكالية بناء ثقافة المشاركة في الوطن العربي، مجلة العلوم السياسية () -

بغداد، .

¹¹ علي خليفه الكواري ، مفهوم المواطنة في الدولة الديمقراطية، في الديمقراطية والتنمية في الوطن العربي ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بير □ .

اما الدكتور (برهان غليون) فانه يعرفها بانها(فكرة قائمة على اساس تحالف وتضامن بين اناس احرار بكل ماتعنية هذه الكلمة من معنى اي بين اناس متساوين في القرار والدور والمكانة ومن رفض التمييز بينهم على مستوى درجة مواظبتهم واهليتهم العميقة لممارسة حقوقهم المواظنية) .
وهذا يعني ان المواطنة هوية مشتركة تعمل على اندماج فئات المجتمع على اسس قانونية صحيحة ومقبولة من الجميع.

وتذكر موسوعة الكتاب الدولي ان المواطنة هي: (عضوية كاملة في دولة او في بعض وحدات الحكم ، وان المواطنين لديهم بعض الحقوق، مثل حق التصويت، وحق تولي المناصب العامة، وكذلك عليهم بعض الواجبات مثل واجب دفع الضرائب والدفاع عن بلدهم) ، وحسب موسوعة (كولير) الامريكية فان المواطنة هي: (اكثر اشكال العضوية في جماعة سياسة اكتمالا) .

يلاحظ ان موسوعة الكتاب الدولي وموسوعة (كولير) الامريكية لم تميز بين مصطلح (المواطنة) ومصطلح (الجنسية) كما فعلت دائرة المعارف البريطانية فالجنسية وان كانت مرادفة للمواطنة فهي تعطي امتيازات خاصة مثل الحماية خارج الدولة ، وبطاقة للتعريف بشخصية الفرد وهوية رسمية له عندما يخرج من حدود بلده .

وهكذا وعلى رغم من تعدد وتنوع التعاريف المقدمة إلا ان الانتماء للامة والارتباط بكيان سياسي هو الفهم الاكثر شيوعا ، وعلية يصبح الانتماء المعنى الحقيقي لمفهوم المواطنة اذ بدونة لاقيمة للمواطنة التي تبقى مجرد جنسية تمنح حقوقا وتفرض واجبات ولا تعبر إلا عن التبعية ووثيقة سفر لاجتياز الحدود .

وطالما ان مفهوم المواطنة ينطوي على جملة من الحقوق الممنوحة للأفراد واجبات مفروضة عليهم ، وطالما ان المعنى الحقيقي للمواطنة يعتمد على انتماء الفرد وولائة لوطنه تكون المواطنة في مواجهة تنظيم علاقة على مستويين:

المستوى الاول: العلاقة القائمة بين الافراد والدولة، **والمستوى الثاني:** العلاقة القائمة بين الافراد بعضهم ببعض، وهذا يحتم ان تكون المواطنة قائمة على الاسس التالية :

- .. المساواة الكاملة بين فئات المجتمع بغض النظر عن الجنس واللون والمذهب .
- .. المشاركة الفاعلة في الميادين السياسية والاجتماعية والاقتصادية .

وقد شهد مفهوم المواطنة تغيرات عديدة اذ توسع ليتعدى الجانب القانوني والدستوري وضمانات المشاركة السياسية ليشمل الحد الأدنى من الحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية التي تمكن المواطن من التعبير عن رأيه ومصالحة بحرية مثل التقارب في مستويات الدخل والثروة والتعليم

¹² برهان غليون ، نقد السياسة : الدين والدولة ، المؤسسة العربية للدراسات ، بيروت، ص .

¹³ علي خليفة الكواري ، مصدر سبق ذكره ، ص .

¹⁴ ليث زيدان ، مصدر سبق ذكره .

¹⁵ حسين علوان حسين ، مصدر سبق ذكره ، ص .

اضافة إلى حد ادنى من المسؤولية المجتمعية تجاة تنمية فرص العمل والرعاية الاجتماعية في حالة العجز والبطالة ومن اجل التعليم والصحة والتنمية الثقافية .

وترجع اسباب هذه المراجعة التي طرأت على المفهوم لعدة عوامل ابرزها الازمة التي تتعرض لها فكرة الدولة القومية التي مثلت ركيزة الفكر الليبرالي لفترة طويلة وذلك نتيجة عدة تحولات شهدتها نهاية القرن العشرين اهمها :

.: تزايد المشكلات العرقية والدينية في اقطار كثيرة من العالم، وتفجر العنف بل والابادة الدموية، ليس فقط في بلدان لم تنتشر فيها عقيدة الحداثة من بلدان العالم الثالث بل ايضا في قلب العالم الغربي او على يد قواة الكبرى كالاابادة النووية في هيروشيما مروراً بالابادة الصربية للمسلمين والابادة الامريكية للعراقيين والافغان والابادة الجارية في فلسطين .

.. بروز فكرة العولمة التي تأسست على التوسع الرأسمالي العابر للحدود وثورة الاتصالات والتكنولوجيا من ناحية اخرى والحاجة لمراجعة المفهوم الذي قام على تصور الحدود الاقليمية للوطن والجماعة السياسية وسيادة الدولة القومية، وكلها مستويات شهدت تحولا نوعيا وعلى صعيد اخر فان نمو الاتجاهات الاصولية المسيحية واليمينية المتطرفة في البلدان التي مثلت مهد التجربة الليبرالية واثارها على الواقع السياسي والاجتماعي الغربي المعقد مع وجود اقلية عرقية ودينية منها العرب والمسلمون

هذا فضلا عن وصول الفردية كفكرة مثالية لتحقيق حرية وكرامة الفرد إلى منعطف خطير في الواقع الليبرالي بعد ان ادى التطرف في ممارستها وعكوف الافراد على ذواتهم ومصالحهم الضيقة إلى تهديد التضامن الاجتماعي الذي يمثل اساس وقاعدة اي مجتمع سياسي وتراجع الاهتمام بالشأن العام لصالح الشأن الخاص وتنامي مايسمى البعض ب (موت السياسة) وبروز (سياسات الحياة اليومية) ¹⁶.

يتضح من خلال ما تقدم ان المواطنة مفهوم تاريخي اتخذ عبر العصور وتطور المجتمعات وتعدد الثقافات صورا وتعريفات عديدة حتى استقر على صورتها الحالية في المجتمعات المعاصرة باعتباره صفة تلحق بالفرد بسبب علاقته بالوطن، واصبحت مثلا اعلى يتمثل بالمشاركة السياسية بمعنى ان يكون للمواطن الحق في الاسهام . طبقا للدستور والقانون . في ممارسة السلطة العامة في بلده ، هذا فضلا عن منظومه من عناصر ومقتضيات تجعل من الولاء للدولة مجرد استجابة موضوعية وضمانة حقة لتنمية امكانات النضال السلمي لاستخلاص الحقوق الاقتصادية والاجتماعية والبيئية، وادارة الاختلاف ديمقراطيا .

¹⁶ علي دربول محمد ، اعادة تشكيل الهوية الوطنية مقدمه لبناء عراق ديمقراطي ، مجلة العلوم السياسية □ () ،

حزيران ، بغداد ،

¹⁷ بلا مؤلف ، المواطنة وما ادراك ما المواطنة . : www. Youtndrafour . katib org

¹⁸ ينظر : محمد عابد الجابري، العولمة والهوية الثقافية، في ندوة العرب والعولمة بحوث ومناقشات الندوة الفكرية التي نظمتها

مركز دراسات الوحدة العربية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ، □ .

¹⁹ بلا مؤلف، المواطنة وما ادراك ما المواطنة، مصدر سبق ذكره .

المحور الثاني: رؤية مقترحة لاعادة تشكيل مفهوم المواطنة في العراق الجديد

اذا ما انتقلنا إلى دراسة الحالة العراقية، فأنا أمام ارث سياسي واقتصادي واجتماعي ونفسي لة بالغ الاثر على تشكيل مفهوم المواطنة في العراق والمتمثلة بعجز النظام السابق في ادخال معايير الانتماء والمواطنة إلى عقول وقلوب المواطنين وبناء سياسة المشاركة والحوار، الامر الذي دفع وبشكل طبيعي إلى انهيار المجتمع والدولة بعد سقوط النظام وعودة افراد المجتمع إلى ذواتهم المذهبية، هذا إلى جانب اتباع النظام السابق لسلوكيات التضييق والتهميش لقطاعات كبيرة من المجتمع وتحجيمها من ان تكون مكون اساسي داخل المجتمع العراقي وحرمانها من الاندماج في المكون الاكبر (الدولة) الامر الذي خلق لدى هذه القطاعات ردود فعل من الانكماش والانتواء على الذات دون الاخر الذي يصاحبه تمسك غير طبيعي بانتماءاتهم الفرعية والمذهبية، ولا نبتعد كثيرا عن الحق اذا قلنا ان السياسة لعبت ومازلت تلعب دور كبيرا في افرز الطائفية بالمجتمع العراقي حينما استخدم النظام السابق سياسة التمييز الطائفي بين فئات المجتمع، فالتمييز الطائفي وليس الانتماء لطائفة وهو ما يجعل الانسان طائفيا، وهذه السياسة هي التي يتم من خلالها استغلال جماعات فئوية طائفية للدين والمذهب محاولة تدمير ركائز وقيم المجتمع والدولة ، هذا ولا يمكن تجاهل الدور الاساسي الذي اتخذه النظام السابق في اخراج اجيال طائفية بالمعنى المذهبي حينما اتبع النهج الطائفي في كافة المجالات لتسود الثقافة الاحادية المنغلقة على الاخر ، فكان التعليم المجال الاساسي في اتباع ذلك النهج من خلال مناهج الدراسة التي حبت على اتجاة واحد ونمط معين من الدراسات متجاهلة سائر الاتجاهات والمذاهب الاخرى، الامر الذي ادى إلى بناء جيل طائفي معبا فكريا ونفسيا ضد كل ما يخالف اتجاة السلطات العام، اي جيل ذا فكر منغلق وعقلية ضيقة متجاهلة الرأي الاخر والوقوف بالصد إلى كل ما لا يوافق فكره ، وحتى بعد سقوط النظام ، نجد ان تجليات مختلفة قد تلونت بألوان مختلفة مثلتها الانتماءات الطائفية المستندة على قبول او رفض ما هو (شيعي ، او سني ، او كردي ، او تركماني) فهذه الانتماءات العرقية او الطائفية او المذهبية نجدها تتبلور وتعيد انتاج نفسها من جديد بأطر مختلفة ، وقد تكون هذه حاله طبيعيه افرزتها المرحله السابقه بحكم شعور هذه الطائفة او تلك بالغين والدونيه في مستوى المواطنة والتهميش لفترات طويله ولكن لا يمكن ان تمضي وتستمر في المستقبل المتوسط او الطويل خصوصا وان العراق يشهد مرحلة بناء جديدة ليس فقط للمؤسسات السياسي والاجتماعيه والاقتصادي ولكن مرحلة بناء ذات الانسان وقوامه بوصفه كتله ايجابية قادره على التعاطي الايجابي مع استحقاقات المرحله الجديد .

²⁰ علي حسن الربيعي ، تحديات بناء الدولة العراقيه : صراع الهويات ومأزق المحاصصه الطائفية ، في الاحتلال الامريكي للعراق والمشهد الاخير ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ،

²¹ حمزه الحسن ، الغف السياسي في المملكه مصادره واشكاله وافاقه : . www.islamonline.net

²² سناء كاظم كاظم ، الطائفية وتداعياتها على بناء الدولة العراقية المعاصرة، مجلة العلوم السياسية ، ع () . (ـ)

²³ ياسر خالد عبد بركات، مبدأ المواطنة واستحقاقات الدستور الدائم: www.mcsr.net

هذا من جانب، ومن جانب آخر فان وجود وتبلور بعض الشروط او متطلبات انبثاق مفهوم جديد للمواطنة في العراق الجديد لم يترافق معه نجاح في التطبيق على ارض الواقع. فالعملية السياسية التي انطلقت في العراق بعد /نيسان/ افضت إلى بلورة تلك الشروط ولعل من بينها²⁴ :

.. لسيادة لفرد او لقلّة على الشعب الذي هو مصدر السلطات.

.. سيطرة احكام القانون والمساواة امامة.

.. عدم الجمع بين السلطات.

.. ضمان الحقوق والحريات العامة دستوريا وقانونيا وقضائيا ومجتمعيا.

.. التداول السلمي للسلطة.

لكن الملاحظ . وبكل اسف . ان شروط كهذه على الورق لا تكفي لبلورة مفهوم وطني للمواطنة، لان بلورة مفهوم المواطنة وفق الاطر النظرية والموضوعية تحتاج إلى جملة خطوات واعتبارات اجتماعية واقتصادية وسياسية وقيمة يضطلع بها المجتمع ونظامه السياسي.

وإذا ما سلمنا بأهمية تأسيس مبدأ المواطنة العراقية في انضاج النخب الفردي سعيًا إلى تأكيد وتعزيز الحقوق الفردي والجماعي للأفراد والجماعات في دستور يحترم هذه الافكار ويعمل على ترميمها ، فأنا نتطلع وفي نفس المسار إلى تأكيد الهوية الوطنية التي تعتبر الرابطة الوثقى والمحدده لشكل وعلاقة الدولة بالمواطن ، ذلك ان حقوق المواطنة اليوم اصبحت حاجه ملحه وماسه في جميع شعوب العالم ومرتبطة او منبثقة من الحصول على جنسية البلد الذي ينتمي اليه .

ان الاحتكام إلى الاسس البنوييه الخاطئه والطروحات التي تراوحت بين الاسس المستورده البعيده عن الاصله والواقع العراقي كانت وراء تغييب المقومات الاساسيه المتمثله بالوعي الفكري والسياسي المنتج للهويه الوطنية والمواطنة بشكل اساس مما افقد المجتمع قوته وقدرته على انتاج الذات الوطنية المعبره عن اهمية الشعور بمبدأ المواطنة .

وهنا تصبغ الحاجه إلى تأكيد المواطنة ضروره اساسيه ملحه وملائمه للمجتمع العراقي بعد ان فشلت التجارب السابقه في ابداع الفكر والطروحات والمشاريع المنتجه للهويه الوطنية بالشكل الذي يجعل المواطنة والمواطن والوطنية اساسا وهدفا يبرر وجود وظيفة الدولة .

وفي ضوء معالجة الدراسة لمفهوم المواطنة وواقعها في ظل النظام السابق تطرح الدراسة في هذا الجزء رؤية مقترحة يمكن ان تسهم في تفعيل مبدأ المواطنة وإعادة تشكيلها على اساس الولاء للوطن وصهر الولاءات الفرعية والضيقه فيه وعلية فان الرؤية المقترحة تتضمن مايلي:

اولا: الافاق العامة لتفعيل المواطنة:

أ . تأسيس العلاقة بين مكونات المجتمع والدولة على اسس وطنية تتجاوز كل الاطر والعناوين الضيقه، بحيث يكون الجامع العام لكل المكونات والتعبيرات والاطياف هو المواطنة والتي لاتعني فقط

²⁴ ينظر: خالد عليوي جواد، متطلبات التحول الديمقراطي في العراق: www.fcdrc@rcdes.com

²⁵ ياسر خالد عبد بركات، مصدر سبق ذكره.

جملة الحقوق والمكاسب الوطنية المتوخاه وانما تعني ايضا جملة من الواجبات والمسؤوليات العامة الملقاة على عاتق كل مواطن .

ب . مسؤولية الدولة عن الشروع بتنمية اقتصادية شاملة ترفع من المستوى المعاشي لافراد المجتمع ومعالجة مشاكل الفقر والبطالة وتوفير الضمان الاجتماعي لافراد المجتمع .

ج . التركيز على ابراز مبدأ المواطنة في فضائنا الاجتماعي وذلك بتوسيع رقعة وساحة المشاركة في الشأن العام شريطة توافر استعدادات حقيقية عند جميع الشرائح والفئات لتحمل مسؤولياتها ودورها في الحياة العامة .

د . اعطاء دفعات متتالية من الاهتمام بنظام العلاقات والتواصل بين مكونات المجتمع والاستمرار في ازالة مكونات الشعور بالاقصاء او التهميش او تدني المشاركة الفعالة، والتأكيد على مختلف الشروط والروافد التي تقضي إلى ارساء مبدأ المواطنة بكل مستوياته.

ي . تعزيز الكرامة الانسانية وهي شرط ضروري التركيز عليها في المجتمعات العربية والعراقية على وجه الخصوص التي تهان فيها كرامة الانسان وتهدر حقوقه وتهدر حياته في العديد من الاوقات إلى درجة ان المواطن العراقي لم يعد امنا بين اهله وفي بيئته حتى لو لم يمارس عملا سياسيا معيناً، ويكفي النظر إلى ظاهرة القتل على الهوية ، او الاعتقال بداعي الشبهة، والارهاب باسم الدين او ارهاب السلطة²⁶ .

و . سيادة القانون والمساواة السياسية، اذا يكون جميع المواطنين خاضعين للقانون بغض النظر عن الاختلافات العرقية، والاجتماعية، والدينية، والمذهبية، والثقافية .

ثانيا : مسؤولية التعليم في تعزيز المواطنة:

ان الضمانات الحقيقية للممارسة الوطنية السليمة لا تكمن في تلك الافاق التي تحدد معالم الفضاء الاجتماعي والثقافي وانما تتمثل في مدى تشرب افراد المجتمع لقيم المواطنة الحقيقية منذ الصغر والتدريب على ممارستها عمليا في مختلف المؤسسات والوسائط التربوية حسب طبيعة المرحلة التي يمر بها الفرد ، ومن ثم يأتي طرحنا للرؤية المقترحة لدور التعليم ومسؤوليته في تعزيز مبدأ المواطنة مرتكز على مجموعة من المحاور التي تتشكل منها منظومة التعليم والتعلم بمختلف مكوناته وذلك على النحو التالي:

المناخ المدرسي: ولتفعيل دورة في تنمية وتعزيز المواطنة ينبغي:

²⁶ بلا مؤلف ، اثر الانفتاح الثقافي على مفهوم المواطنة لدى الشباب السعودي: www.minshawi.com

²⁷ بلا مؤلف ، المواطنة والديمقراطية: . www.iraq.foundation.org

²⁸ بلا مؤلف ، اثر الانفتاح الثقافي على مفهوم المواطنة لدى شباب السعودي ، مصدر سبق ذكره.

²⁹ المصدر السابق.

³⁰ محمد ابو رمان ، حقوق المواطنة ودور المنقذ العربي: www.Islam.tody.net

³¹ طلال احمد سعيد ، مستلزمات بناء مجتمع مدني ديمقراطي ، مجلة الحوار ، ع () ، بغداد ،

. ان يكون المدرس ايجابيا يسمح بدرجة من التفاعل الاجتماعي وذلك من خلال تأكيد الثقة بين جيل الكبار والمسؤولين وبين الطلاب على المستوى التنفيذي حتى تنمو مشاعر الحب بين جميع اطراف العملية التربوية فتتمو مشاعر الفخر والاعتزاز بالمدرسة مجتمع صغير ومن ثم المجتمع الكبير .
.. ان يسود المناخ المدرسي روح التعاون والتألف والجماعية وان يدرك كل فرد فيه ان له دورا فاعلا على دخل هذه المؤسسة تمهيدا لاختفاء القيم السلبية والفردية .
.. ان تتغير ثقافة الصمت والتلقين . في اسلوب التعامل داخل المدرسة . إلى اسلوب حوارى يحقق فيه التلميذ ذاته ويقوم على حرية الرأي ويؤكد على الحوار والمناقشة والنقد الايجابي البناء بين التلميذ والمعلمين .

المناهج الدراسية:

.. اضافة مقررات دراسية في مراحل التعليم العام يتطور محتواها بتطور نضج الطلاب تركز على اكسابهم قيما يعينها لها دورها الفعال في تخفيف الذات والاسهام مع تطور المجتمع والمحافظة على تماسكة والالتزام باللوائح والقوانين والمفاهيم والمعاني المرتبطة بالمواطنة مثل معنى الدور السياسي المناط بالمواطن واذكاء الروح الجماعية، والالتزام بمعايير المجتمع ونظمة، وتدعيم الشعور بالانتماء ومفاهيم المساواة وضوابط الحرية .
.. ان تهتم المناهج الدراسية وخاصة مناهج الدراسات الاجتماعية مثل النصوص ، والقراء ، والتعبير بأكساب التلاميذ الهوية الوطنية وارتباطة بوطنه دينا وارضا وتاريخا، وتستثير لدية مشاعر الفخر والزهو بالانتماء لعقيدته ولوطنه والمسؤولية تجاه الدين والمجتمع والدولة .

اسلوب اداء المعلم :

للمعلم دور في تأكيد اهمية المواطنة بأبعادها وممارستها لذلك يجب التأكيد على آليات الارتقاء بمستوى اداء المعلم المتمسك بالاجابية وتنمية وعية بكيفية استثمار المواقف اليومية من تنمية وتعزيز المواطنة ويقضي ذلك :

- .. النهوض بالدور الاجتماعي والثقافي للمعلم .
 - .. حرص المعلم على ترجمة خبراتة الايجابية إلى ممارسة فعلية في المواقف التعليمية المختلفة وان يكون سلوكه مطابقا لافكاره التي يبيثها في عقول التلاميذ .
 - .. ان يحرص على بلورة مفاهيم وابعاد المواطنة (الهوية-الانتماء-الحرية-المشاركة السياسية) في صورة سلوكيات يدرّب عليها التلاميذ في الانشطة الصفية والاصفية .
- ثالثا : التأكيد على ان الدين هو علاقه او رابطته روحية بين الانسان وخالقه مستنده على مبادئ اخلاقيه ودينيه ساميه ترفض التمييز والغللو والاستعلاء والتطرف والعنف يجب احترامها من قبل الاخرين لضمان تفاعل حقيقي بين الاديان ومعتنقيها ضمن الوطن الواحد والمجتمع الواحد .

رابعا : بناء وتأسيس اعلام موضوعي محايد يسهم في اشاعة روح التسامح ونبذ العنف والطائفية والعرقية ويلتزم بالثوابت السياسية والاجتماعية والثقافية الوطنية. لذلك لا بد ان يكون هناك مشروع وطني يبتناه الاعلام بكل اختصاصاته وهو مشروع (ثقافة المواطنة الحقيقيه) ومن خلاله يتم بناء ثقافته واقعيه تكون انطلاقه نحو جيل يتميز بنظره حقيقيه لمجتمع متحضر منفتح يقر بقبول الاخر واحترام الرأي والنقد البناء الذي يحمل معه الحلول دون التشهير بالاخر وغرس ثقافة الحوار الهادئ السلمي للوصول إلى قناعه مشتركة وهذا جزء من بناء المواطنة الصالحة) .

خامسا: محاربة الفساد بكل انواعه السياسي والاداري والاخلاقي في المجتمع والدولة وتشريع القواعد الدستورية والقوانين التي تكفل معاقبة الفاسدين وضمان استقلال القضاء والاجهزة الرقابيه ومحاسبتها لتقوم بأدوارها في هذا المجال لخطورة الفساد في تهديد امن واستقرار كيان المجتمع والدولة في العراق كونه سببا من اسباب الارهاب كما ان محاربة الفساد والقضاء عليه ان يعزز من ثقة المواطن بدولته وحكومته ويصون مبدأ المواطنة في العراق .

وهكذا فاذا ماتحقت المواطنة بمعناها الحقيقي سيزرتب على ذلك تضامن اجتماعي بين هيئة مواطني الدولة لان الوضع القانوني للمواطنة سيكون عام ينتج عنه مساواة تامة في الحقوق الممنوحة للمواطنين قانونا ودستوريا ومساواة في الخدمات التي تقدمها الدولة للمواطنين ومساواة في الواجبات والالتزامات المفروضة على المواطنين مقابل الحقوق والخدمات المقدمة لهم، والمساواة بين المواطنين امام القانون، فالشعور بهذه المساواة من قبل المواطنين جميعا والتخلي بالتسامح . كما يترتب على المواطنة ان تحافظ على حد ادنى من الانتهاك وتوسعة باستمرار امام الدولة، بالاضافة إلى ذلك كله سيزرتب على تحقيق المواطنة السعي المشترك بين المواطنين نحو تحقيق المصلحة العليا والخير العام الذي يستهدف كافة المواطنين ، فطالما ان كل مواطن موجه نحو الدولة والمجتمع وليس نحو فئة معينه او نحو عائلته وعشيرته او نحو قريته او بلدته أو غيرها فان ذلك سيؤدي بالضرورة إلى توجيه العمل بشكل جماعي نحو المصلحة المشتركة والخير العام .

واخيرا لا بد من الاشارة إلى ان خلق روح المواطنة والانتماء إلى الدولة تعد من اهم العوامل التي تساعد على خلق البيئه المناسبه لظهور الديمقراطية وتعزيز مؤسسات الحكم الديمقراطي ، فليس هناك ديمقراطيه بدون وعي بالانتماء إلى جماعه سياسيه .. إلى امه في معظم الاحيان³³ .

وفي المقابل فأن المواطنة كأنتماء عضوي بالدولة لاتحيا او تتفعل دونما حاضن ديمقراطي يهيها الانتماء والاعتراف فالعلاقة بين المواطنة والديمقراطيه علاقة توأمة لاية تجارب تنتجها الجماعه السياسيه المكونه للدوله ، كون ان الديمقراطية تقوم على اساس الاعتراف بالانسان وحقوقه الاساسيه

³³ المصدر السابق.

³⁴ كمال البصري ، نحو تفعيل المواطنة الصالحة : www.alsabaah.com.

³⁵ نقلا عن : امل هندي الخزعلي ، جدلية العلاقة بين الديمقراطية والمواطنة والمجتمع المدني : العراق نموذجا ، مصدر سبق ذكره ، ص .

من كرامه واختيار وحرية و اراده ، وعلى اساس حق المواطن بالتعبير والمشاركة وصنع القرار ، وهي ذاتها مقومات المواطنة الفعالة والصالحه في ظل الانتماء للدوله الحديثه .
ومن هنا تغدو المواطنة هي الطريق الامثل والوسيلة الانجح ليس فقط لتكامل المجتمع العراقي وانما ايضا لاستقرار العراق وازدهاره وتطوره وتقدم شعبه ليكون نموذجا حضاريا في المنطقه .

الخاتمه

يتضح من هذه الدراسة ان المواطنة مفهوم تاريخي اتخذ عبر العصور وتطور المجتمعات وتعدد الثقافات صورا وتعريفات عديده حتى استقر على صورته الحاليه بأعتبره صفة تلحق بالفرد بسبب علاقته بالوطن واصبحت مثلا اعلى يتمثل بالمشاركة السياسيه بمعنى ان يكون للمواطن الحق في الاسهام . طبقا للدستور والقانون . في ممارسة السلطه العامه في بلده ، هذا فضلا عن منظومه من عناصر ومقتضيات تجعل من الولاء للدوله مجرد استجابيه موضوعيه وضمانه حقه لتنميته امكانات النضال السلمى لاستخلاص الحقوق الاقتصادية والاجتماعيه والبيئيه ، وادارة اوجه الاختلاف ديمقراطيا .

وإذا ما انتقلنا إلى دراسة الحاله العراقيه فأننا امام ارث سياسي واقتصادي واجتماعي ونفسي له بالغ الاثر على تشكيل مفهوم المواطنة وعليه لابد من القيام بجهد سياسي واجتماعي وثقافي عالي المستوى لتنمية الشعور بالهويه الوطنيه لدى مختلف شرائح المجتمع مهما كانت انتماءاتهم العرقيه والطائفيه من خلال تعزيز مفهوم المواطنة في سياق دوله حديثه تحرص على ضمان احتياجاتهم الاساسيه بأكبر قدر ممكن بالشكل الذي يوقظ لديهم الاحساس الوطني وضرورة مقابله حقوقهم بالواجبات الملقاة على عاتقهم اسهاما منهم في ارساء اساس الدوله الحديثه .